

التيمي: حياته ومساجلاته الشعرية مع جرير

عبدالله أحمد الوتوات - جامعة مصراتة - ليبيا

a.alwetwat@edu.misuratau.edu.ly

مُلخَص:

تناولت الدراسة بالنقد والتحليل بعض القصائد من شعر شاعرين عاشا في فترة واحدة، وهما (عمر بن لجأ التيمي) و(جرير)، كما وقفت الدراسة على بعض الصور الفنية التي تميّز بها شعر الشاعرين، كما حاولت الدراسة الوقوف أهم عناصر المساجلة بينهما وأهم عناصر السباب بينهما. وقد اعتمد الباحث في بحثه على المنهج التحليلي، كما قام الباحث بحصر الأبيات والمقطوعات والأراجيز التي جمعها من الكتب الأدبية للشاعر (التيمي)، وركّز الباحث على التعريف بـ(التيمي) دون التعريف بـ(جرير)؛ نظراً لشهرة الثاني، وعدم خفاء أعماله وحياته الشعرية، فقد تناولها النقاد مراراً وتكراراً، كما تميّز البحث بذكر أيام قبيلة الشاعر (التيمي) ومنها يوم الكلاب الأوّل والثاني، ويوم الزورين، ويوم السلان، وغيرها، حيث تشكّلت في هذه الأيام قصص القبيلة وملاحمها مع أعدائها. والبحث في مجمله اعتمد على المقارنة بين الشاعرين في عدّة مواقف من خلال قصائدهما، وهو ما خلّصت إليه خاتمة البحث التي أوضحت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في هذا الشأن.

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة جانباً هاماً من حياة الشاعر الأموي (عمر بن لجأ التيمي) وأهم محطات حياته مع الشاعر (جرير) التي كانت في معظمها عبارة عن مساجلات بين الشاعرين، وقد قسّمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأوّل: تناول التعريف بالشاعر وثقافته وقبيلته وأهم أيامها، وأسباب الهجاء بين الشاعر و(جرير). أما المبحث الثاني: فقد قمت فيه باستعراض بعض القصائد التي جرت بين الشاعرين، وحاولت أن أقف فيها على بعض العناصر الفنية. أما المبحث الثالث: فكان في أهم عناصر السباب بين الشاعرين. وقد اعتمد الباحث على المنهج التحليلي، نظراً لما في أبيات الشاعرين من مواقف تستدعي استخدام هذا المنهج، أما في مجال الدراسات السابقة فقد اشتهر الأدب العربي بالمساجلات التي وثّقها الباحث بين الشعراء، كالمساجلات بين جرير والفرزدق، وبين الأخطل وجرير والفرزدق، ولكنني لم أحض بدراسة تناولت ما دار من مساجلات بين التيمي وجرير.

المبحث الأول:

التيمي: اسمه ونسبه - شاعريته وثقافته - قبيلته:

هو عمر بن لجأ بن حُدَيْر بن مَصَاد بن رَبِيعَة بن الحارث بن جلهم بن امرئ القيس بن ثعلبة بن سعد بن ذَهَل بن تيم بن عبد مناة⁽¹⁾، توفي سنة 105 هـ 724 م⁽²⁾ شاعر من قبيلة (تَيْم الرِّبَاب)، والرِّبَاب بالإضافة إلى تيم، تضم قبائل بني ثور وبني عدي، وبني عُكَل، وهم أبناء عبد مناه بن طابخة بن إلياس بن مُضَر. وقد اختلف في اسمه، هل هو عُمَر، أم عمرو؟ إذ ذكرت بعض المصادر، وهي قليلة، أن اسمه عمرو⁽³⁾ إلا أن معظم هذه المصادر، تؤكد أن اسمه عُمَر⁽⁴⁾ وبعضها يذكر الاسمين معاً. عاش ابن لجأ في العصر الأموي، وذكر الزركلي في الأعلام أنه توفي سنة 105 هـ 724 م⁽⁵⁾ وشعره جَمَعَ بين الرجز والقصيد، وقد صنّفه ابن سلام في طبقات فحول الشعراء في الطبقة الرابعة من فحول شعراء الإسلام، مع نهشل بن حَري، وحُميد بن ثور الهلالي، والأشهب بن رُميلة⁽⁶⁾، وَرَدَ مُعْظَم شعره في كتاب (عمر بن لجأ حياته وشعره) تأليف: يحي الجبوري الأستاذ بجامعة بغداد وجامعة قطر. شاعريته وثقافته:

لم أعثر في المصادر الأدبية، على أية معلومات تفيدنا بالبدايات الشعرية لابن لجأ، ولا متى قال الشعر، ولعلّ الجمع بين الرجز والقصيد، كان ميزة للشاعر، وقد حظي ابن لجأ بهذه الميزة، يقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين: "وفي الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيد إلى الرجز، ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز إلى القصيد، ومنهم من يجمعهما كجرير وعمر بن لجأ، وأبي النجم، وحُميد الأرقط"⁽⁷⁾ وقال الأصمعي: "أنعتُ الناس لمركوب من الإبل: عُيينة بن مرداس،

- (1) ابن الكلبي، هشام أبو المنذر بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1986م، ص 283.
- (2) الزركلي، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10، 1992م، 5 / 59.
- (3) ينظر: الحموي ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1 / 67.
- (4) ينظر: ابن دُرَيْد، أبويكر محمد بن الحسن الأزدي، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة المثني، بغداد، ط2، 1979 م، ص 185 .
- (5) ينظر: الزركلي، الأعلام، 5 / 60.
- (6) ينظر: الجمحي، أبو عبدالله محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، 1974 م 2 / 588.
- (7) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255 هـ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 1985 م، 1 / 209.

وهو الذي يُقال له ابن فسوة، وأنعتُ الناس لمحبوب في القصيد: الراعي، وأنعتهم لمحبوب في الرجز: ابن لجأ التيمي واسمه عمر⁽⁸⁾. وكان لابن لجأ، نظرة نقدية في الشعر، فقد قال المبرد: "وخبرت عمر بن لجأ قال لابن عم له: "أنا أشعر منك، قال له وكيف؟ قال لأنني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه"⁽⁹⁾ يعني أن قصائده مترابطة متماسكة، والعلاقة بين أبيات القصيدة الواحدة قوية، إلا أننا لا نستطيع أن نعتبره ناقدًا. ويُقسّم التراث الشعري الذي وصلنا لعمر بن لجأ، إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: القصائد الشعرية التي هجا بها جريراً، وعددها عشر قصائد، ورَكَت جميعها في كتاب يحي الجبوري (شعر عمر بن لجأ) وهي تمثل أبرز ما وصل إلينا منها. ثانياً: مقطوعات وردت في المصادر الأدبية المختلفة. ثالثاً: الأراجيز، وهي عبارة عن مقطوعات متناثرة في المصادر الأدبية واللغوية المختلفة، تتحدث في معظمها عن وصف الناقة.

وقد أشار ابن النديم في حديثه عن مؤلفات ابن حبيب أن من بينها، كتاب نقائض جرير وعمر بن لجأ، كما أشار إليها في حديثه عن أسماء الشعراء الذين ناقضهم جرير⁽¹⁰⁾ إذ قام بجمعها كذلك أبو عمرو الشيباني والأصمعي، إلا أن هذه النقائض لم تصلنا. وهذه القصائد هي على النحو التالي:

-القصيدة الأولى ومطلعها:

لِمَنْ مَنزِلٌ بِالمُسْتَرَّاحِ كَأَنَّمَا تَجَلَّلَ بَعْدَ الحَوْلِ وَالحَوْلِ مُذْهَبًا⁽¹¹⁾

وعدد أبياتها ثمانون بيتاً.

-القصيدة الثانية ومطلعها:

أَجْدَ القَلْبُ هَجْرًا وَاجْتِنَابًا لِمَنْ أَمْسَى يُوَاصِلُنَا خِلَابًا⁽¹²⁾

وعدد أبياتها تسعة وتسعون بيتاً.

-القصيدة الثالثة ومطلعها:

أَبَ الهَمِّ إِذْ نَامَ الرُّقُودُ وَطَالَ اللَّيْلُ وَامْتَنَعَ الهُجُودُ⁽¹³⁾

وعدد أبياتها سبعة وستون بيتاً.

(8) الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريش، فحولة الشعراء، تحقيق ش توري، مقدمة: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ص 18.

(9) المبرد، محمد بن يزيد المبرد أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: عبدالحميد هندراوي، وزارة الأوقاف السعودية، 1998 م، 2 / 65.

(10) ينظر: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، 1971 م، ص 119، 180.

(11) الجبوري، يحي، شعر عمر بن لجأ، دار القلم، الكويت، ط 2، 1981 م، ص 35.

(12) المصدر السابق، ص 47.

(13) المصدر السابق، ص 60.

- القصيدة الرابعة ومطلعها:
 ما بَالُ عَيْنِكَ لَا تُرِيدُ رُقُودًا
 مِنْ بَعْدِ مَا هَجَعَ الْعُيُونُ هُجُودًا⁽¹⁴⁾
 وعدد أبياتها ستون بيتاً.
- القصيدة الخامسة ومطلعها:
 لَعَلَّكَ نَاهِيكَ الْهَوَى أَنْ تَجَلِّدَا
 وَتَارِكَ أَخْلَاقٍ بِهَا عِشْتَ أَمْرًا⁽¹⁵⁾
 وعدد أبياتها مائة وخمسة أبيات.
- القصيدة السادسة ومطلعها:
 نُبِّئْتُ كَلْبَ كَلْبِيبٍ قَدْ عَوَى جَزَا عَا
 وَكُلُّ عَاوٍ بِفِيهِ التَّرْبُ وَالْحَجَرُ⁽¹⁶⁾
 وعدد أبياتها مائة وتسعة وثلاثون بيتاً.
- القصيدة السابعة ومطلعها:
 طَرَبْتَ وَهَاجَتَكَ الرُّسُومُ الدَّوَارِسُ
 بِحَيْثُ حَبَا لِلْأَبْرَقِينَ الْأَوَاعِسُ⁽¹⁷⁾
 وعدد أبياتها ثمانية وثلاثون بيتاً.
- القصيدة الثامنة ومطلعها:
 أَنْتَسْمُ أَقْوَاماً أَجَارُوا نِسَاءَكُمْ
 وَأَنْتَ ابْنَ يَرْبُوعٍ عَلَى الضَّيْمِ وَارِكُ⁽¹⁸⁾
 وعدد أبياتها ستة وعشرون بيتاً.
- القصيدة التاسعة ومطلعها:
 أَلَمْ تُلِمَّ عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ
 بِغَرْبِي الْأَبَارِقِ مِنْ حَقِيلِ⁽¹⁹⁾
 وعدد أبياتها واحد وسبعون بيتاً.
- القصيدة العاشرة ومطلعها:
 أَمِنْ دَمْنَةٍ بِالْمَاتِحِيِّ عَرَفْنَهَا
 طَوِيلًا بِجَنْبِ الْمَاتِحِيِّ سَكُونُهَا⁽²⁰⁾
 وعدد أبياتها سبعة وثلاثون بيتاً.

ثقافته:

مَنْ يقرأ شعر ابن لجأ، يلحظ ورود عدد غير قليل من أسماء الأعلام والقبائل وفروعها بالإضافة لأيام العرب في الجاهلية، والحوادث التي حدثت بعد الإسلام،

(14) المصدر السابق، ص 68.

(15) المصدر السابق، ص 76.

(16) المصدر السابق، ص 92.

(17) المصدر السابق، ص 110.

(18) المصدر السابق، ص 116.

(19) المصدر السابق، ص 120.

(20) المصدر السابق، ص 129.

كما نلاحظ عدداً من أسماء البلدان والأماكن، مما يدل على أنّ الشاعر لديه ثقافة غزيرة. ويُقال أنه كان عارفاً بمثالب القبائل، وهذه المعرفة، كانت مهمة في ذلك العصر الذي ظهرت فيه النقائض، وكان شعراء النقائض في حاجة ماسة لمثل هذه المعلومات، حتى يواجهوا خصومهم، ويشهروا بقبائلهم، وهذا ما دعا شاعراً فحلاً هو الفرزدق أحد أشهر شعراء النقائض في العصر الأموي للجوء إلى عمر بن لجأ، لاقتناص هذه المعلومات الثمينة، فقد ذكر أبو عبيدة في النقائض⁽²¹⁾ أنّ بني جعفر بن كلاب، عادوا (شبهه بن عقاب بن صعصعة) فقام جعفر بإعطاء ذي الأهدام الضبابي حتى هجا بني مجاشع - وهم رهط الفرزدق - فاضطر (شبهه) للاستعانة بالفرزدق، فقال: والله ما أعرف مثالبهم، فتوجه إلى عمر بن لجأ الذي كان قد حلّ بالبصرة، فأملى ابن لجأ مثالبهم للفرزدق، وذكرها في قصيدته التي مطلعها:

عَرَفْتُ بِأَعْلَى رَائِسِ الْفَأْوِ بَعْدَمَا مَضَتْ سَنَةٌ أَيَّامُهَا وَسُهِورُهَا⁽²²⁾

ويقول كذلك⁽²³⁾:

تَبَيَّنَ أَنْ لَمْ يَبْقَ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ مُحَامٍ وَلَا دُونَ النِّسَاءِ غَيْرُهَا
إِذَا ذُكِرَتْ أَيَّامُهُمْ يَوْمَ لَمْ يَقُمْ لِسَلَّةِ أَسْيَافِ الضَّبَابِ نَفِيرُهَا
وَلَمْ تَكُ تَخْشَى جَعْفَرًا أَنْ يُصِيبَهَا بِأَعْظَمَ مِنِّي مِنْ شَقَاهَا فُجُورُهَا

وقد أورد الجاحظ في حديثه عن الفصاحة والفصحاء، وعمّن كان يلحن ويخطئ في قوله ومن لم يخطئ أنه "قيل لعمر بن لجأ قُل: إنّنا من المجرمين منتقمين، فقال: (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ)"⁽²⁴⁾⁽²⁵⁾ وهذا يدل على أنّ ابن لجأ، كان حريصاً على عدم الوقوع في اللحن والخطأ.

قبيلته:

بعد ظهور الإسلام، ودخول الناس فيه أفواجا، بدأت القبائل العربية تفدّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، معلنةً إسلامها، ومن بين هذه القبائل، قبيلة تيم الرّباب، حيث وفدت برئاسة زعيمها عصمة بن أبيير التيمي على النبي صلى الله

(21) ينظر: أبو عبيدة، محمد بن المثنى التيمي، كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، 1419 هـ، 1998 م، 2 / 907، 908.

(22) الفرزدق، همام بن غالب، ديوانه، شرحه وضبطه وقدم له: علي الفاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987 م، ص 313.

(23) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(24) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 5، 1405 هـ - 1985 م، 1 / 164.

(25) سورة السجدة، من الآية 22.

عليه وسلم، وأعلنت إسلامها⁽²⁶⁾. وقد شاركت قبيلة تَيْمٍ في حروب الردّة، فبعد تولي سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الخلافة، أكمل ما بدأه سيدنا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه- فجهّز جيشاً بقيادة سعد بن أبي وقّاص، لفتح بلاد فارس، فكانت الرّباب من بين القبائل المشاركة في المعارك. وقد شاركت تَيْمٍ، ضمن قبائل الرّباب، وبخاصة في معركة القادسية، ومن أهم إنجازاتها قيام أحد رجالها، وهو (هلال بن علقمة التيمي)⁽²⁷⁾ بقتل (رستم)، وقال قولته المشهورة: "قتلتُ رستم ورب الكعبة"⁽²⁸⁾، ولما قصد هلالاً رستم، رماه الأخير بنشابة، أصابت قدمه وهو يتبعه، فحمل عليه هلالاً فقتله⁽²⁹⁾

أهم أيام قبيلة تَيْمٍ:

شاركت تَيْمٍ مع باقي قبائل الرّباب في معظم أيام تميم، ومن هذه الأيام:

1- يوم الكلاب الأول⁽³⁰⁾:

وحدث هذا اليوم، بين سلمة وشرحبيّل، ابني الحارث بن عمرو، أكل المرار الكندي، وذلك بعد وفاته، إذ حدث بينهما خلاف، وأغرى الناس بينهما، فجمع كل واحد الجموع لأخيه، فانضم لشرحبيّل بنو ضبة والرّباب كلها، وبنو يربوع وبكر بن وائل، وأما سلمة، فأقبل في تغلب والنمر وتبعه بنو مالك بن حنظلة، وعليهم سفيان بن مجاشع، وعلي تغلب السفاح والتقى الفريقان في الكلاب، فاستحزّ القتل في بني يربوع، وقُتل شرحبيّل في ذلك اليوم، قتله رجل يدعى أبا حنش، وأراد أن يأتي برأسه إلى سلمة، إلا أنه أوجس في نفسه خيفة، فبعثه مع عسيّف له، فلما راه سلمة قال⁽³¹⁾:

ألا أبلغ أبا حنش رسولاً
فمالك لا تجيء إلى الثواب
تعلّم أنّ خير الناس طراً
قتيلٌ بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر
وأسلمه جعاسيس الرّباب

- (26) ابن عبد البر، أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمود، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار النهضة، القاهرة (د.ت)، 138/3
- (27) هو شقيق المستورد بن علقمة، زعيم الخوارج، الذي قتله بن قيس الرياحي في يوم دجلة، ينظر: ابن دُرَيْد، الاشتقاق 1 / 186
- (28) النويري، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ - 2004 م، 1 / 120.
- (29) ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988 م، 2 / 44
- (30) ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد، الكامل في التاريخ، راجعه وحققه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987 م، 1/434.
- (31) ينظر: النويري نهاية الأرب، 1 / 121.

2- يوم الكلاب الثاني⁽³²⁾:

سبب حدوث ذلك اليوم، أنّ بني تميم أغاروا على لطيمة لكسرى - غيرٌ تحمل المسك والعنبر والجوهر - فأوقع بهم كسرى، فأخذ الأموال، وسبى الذراري، لذا قرر زعماء تميم الالتجاء إلى مكان يأمنون فيه غارات القبائل بعد أن وهنوا وضعفوا لِمَا أصابهم في يوم الصفقة، فاختروا الكلاب، طائنين أنهم في مأمن وأن أحداً لن يغامر ويقطع الفيافي للوصول إليهم، وبخاصة أنّ الوقت كان حاراً، فنزلت سعد والرّباب بأعلى الوادي، ونزلت حنظلة بأسفله، وبينما هم كذلك، غزتهم قبائل مذحج واليمن وأحلافها من قُضاعة، فتصدّى لهم بنو تميم وهزموهم، وأسرت رجال تميم الرّباب عبد ياغوث الحارثي وقتلوه بزعيمهم النعمان بن جساس التيمي، وقد أشار إلى أسره من قبل تميم الرّباب في قصيدته التي أنشدها قبل مقتله ومطلعها:

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا وَمَا لَكُمْ فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ وَمَا لُومِي أَخِي مِنْ شَمَالِيَا

ويقول مخاطباً تميم الرّباب:

أَقُولُ وَقَدْ شَدَّوْا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمَعَشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكْتُمْ فَأَسْجِحُوا
فَإِنَّ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا⁽³³⁾

3- يوم الزورين⁽³⁴⁾:

أجذبت بلاد بكر بن وائل، فانتجعوا أرض بني تميم، وأدى الاحتكاك بين أفراد القبيلتين إلى وقوع الشرّ بينهما، فاجتمعت بنو تميم في جموع كثيرة من عمرو وحنظلة والرّباب وسعد وغيرها، برئاسة أبي الرئيس الحنظلي، وكان على رأس بكر بن وائل في ذلك اليوم، الأصم عمرو بن مسعود، أبو مفروق، وحنظلة بن سيار العجلي، وحمران العبسي، وقد هُزمت تميم في ذلك اليوم، وقتل أبو الرئيس، وسُمي هذا اليوم بيوم الزورين لأن بني تميم جملوا بعيرين سموها زورين (الهون)، وقالوا: لا نفرّ حتى يفر هذان البعيران.

4- يوم السّلان:

كان النعمان بن المنذر يجهّز كل عام لطيمة لبيعها في عُكاظ، فتعرّض لها يوماً بنو عامر بن صعصعة، فبعث النعمان إلى صنائعه من بني ضبة بن أد وغيرهم من الرّباب وتميم فأجابوه وأتاه ضيرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيهم كلهم فوارس، ومعه حبيش بن دلف، فاجتمعوا في جيش عظيم، ثم قصدوا بني عامر

(32) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1/ 493.

(33) التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، شرح اختيارات المفضل، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987 م، 2/ 769، 770.

(34) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1/ 492.

سراً، إلا أن بني عامر جاءهم من يخبرهم بأمر هذا الغزو فجهزوا أنفسهم، واستعدوا وتمكنوا من هزيمة النعمان وأحلافه، وأسروا أخاه⁽³⁵⁾.

5- يوم شعب جبلة⁽³⁶⁾:

وسبب هذا اليوم، أن لقيط بن زُرارة سيّد بني تميم، عَزَمَ على غزو بني عامر بن صعصعة للأخذ بثأر أخيه معبد، الذي قتله بنو عامر في يوم رحرحان، فجمع جيشاً كبيراً ضمّ قبائل الرّباب وأسد وذيبيان وغطفان، كما ساعده الجون بجيش جعل عليه ابنه (عمراً ومعاوية)، وأرسل النعمان جيشاً وعليه أخوه لأمه حسان بن وبرة الكلبي، وكان على رأس بني تميم، حاجب بن زرارة، وعمرو بن عمرو، والحارث بن شهاب، والنعمان بن قهوس التيمي من تيم الرباب، ثم توجهت هذه الجيوش لقتال بني عامر وأحلافهم من بني عيس، الذين استعدوا جيداً وتحصنوا في شعب جبلة، إذ تمكنوا من هزيمة بني تميم وأحلافهم في هذا اليوم، وبهذه المناسبة، قالت (دختنوس بنت لقيط بن زرارة) معيرة النعمان بن قهوس فراره من المعركة وكان حامل لواء الرباب⁽³⁷⁾:

فَرَّ ابْنُ قَهُوسِ الشَّجَا غُ بَكَفَهُ رَمْحٌ مِثْلُ
يَعْدُو بِهِ خَاطِي البُضِي ع كَأَنَّهُ سَمِعَ أذْل
وَلَأَنْتَ مِنْ تَيْمٍ فَدَع عَطْفَانَ إِنْ سَارُوا وَحَلَّوْا

6- يوم النّسار:

حدث هذا اليوم، بين بني تميم وبني سعد والرّباب وضبة من جهة، وبين بني عامر بن صعصعة وهوزان من جهة أخرى، فقد لجأ بنو عامر بن صعصعة لبني تميم ينتجعون الكلاب بعد أن أجدبت بلادهم، ثم حدث أن رجلاً من بني ضبة، أخفى خيلاً لرجل من بني قشير، وهي إحدى قبائل عامر بن صعصعة مما سبب في حدوث مصادمات بين القبيلتين، انتهت بوقوع الحرب بينهما وكانت نتيجتها هزيمة بني عامر بن صعصعة⁽³⁸⁾.

أسباب الهجاء بينه وبين جرير:

ذكرت المصادر الأدبية التي تحدّثت عن الهجاء بين الشعاعين العديد من الروايات منها الرواية التي أوردها أبو عبيدة⁽³⁹⁾ من أن لقمان الخزاعي قدم على صدقات الرّباب، فكانت فيهم وجوه تحضر، وفيهم عمر بن لجأ، فأشدد:

(35) ينظر: المصدر السابق، 506/1.

(36) ينظر: الكامل، لابن الأثير، 463 / 1.

(37) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، الأغاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، 134 / 11.

(38) ينظر: الكامل، لابن الأثير، 490 / 1.

(39) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، نقائض جرير والأخطل، تحقيق: أنطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، دار المشرق، بيروت، 2 / 487.

تَأْوَبْتِي ذِكْرٌ لِرِزْوَلَةٍ كَالْخَبْلِ
وَمَا حَيْثُ تَلْقَى بِالْكَثِيبِ وَلَا السَّهْلِ
تَحُلُّ وَرُكْنٌ مِّنْ ظَمِيَّةٍ دُونَهَا
وَجَوْ قَسِيٍّ مِّمَّا يَحُلُّ بِهِ أَهْلِي
تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَى وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي الْأَخْلَاءَ بِالْبُخْلِ

فقال له لقمان: مازلنا نسمع بالشام أنها كلمة جرير، فقال عمر: إني لأكذب شيخ في الأرض إن ادّعت شعراً جريراً، ثم أنشده على رؤوس الناس جميعاً والرباب حضور، قال فأبلغ لقمان جريراً قول عمر، قال وزعم أنك سرقتها منه، فقال له جرير: وأنا أحتاج أن أسرق قول عمر، وهو الذي وصف إبله فجعلها كالجبال، وجعل فحلها كالظرب، فقال (40):

كالظرب الأسود من ورائها
جر العجوز الثني من رداها
فأبلغ لقمان عمر قول جرير وما عاب عليه من قوله فقال عمر: يعيب على قولي جر العجوز الثني من رداها؟ وإنما أردت لينة ولم أرد أثره، فقد قال أقيح من ذلك، وهو قوله (41):
وَأَوْتُقِي عِنْدَ الْمُرْدَفَاتِ عَشِيَّةً
لِحَاقًا إِذَا مَا جَرَّدَ السَّيْفَ لَامِعٌ
فلحقهنّ بعدما أنكحنّ وحبلنّ، قال: فأبلغ لقمان جريراً قوله، وما عاب عليه من شعره فأحفظه حتى هجاه. وقد روى أبو جعفر محمد بن حبيب عن عمارة، أنّ جريراً قال: لقد عاب عليّ عمر بن لجأ بيتاً أحب إليّ من (حزرة) ابنه، ثم لجّ الهجاء بينهما، فقال جرير يهجوّه (42):

يَا تَيْمٌ تَيْمٌ عَدِيٌّ لَا أَبَا لَكُمْ
يَا تَيْمٌ إِنَّ جَسِيمَ الْأَمْرِ لَيْسَ لَكُمْ
وَالنَّيْمُ كَانَ سَطِيحًا ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ
لَا يُوَقِّعَنَّكُمْ فِي سَوَاءِ عُمُرٍ
وَلَا الْجَرَاثِيمُ عِنْدَ الدَّعْوَةِ الْكُبْرُ
شَأْنُ السَّطِيحِ إِلَى تَخْبِيلِهِ الْعَوْرُ

فأجابه عمر بقوله:

لَقَدْ كَذَّبْتَ وَسَرُّ الْقَوْلِ أَكْذِبُهُ
بَلْ أَنْتَ نَزْوَةٌ حَوَارٍ عَلَى أُمَّةٍ
أما الرواية الثانية، فقد أوردتها ابن سلام، وملخصها أن ابن لجأ كان ينشد أرجوزة له يصف فيها إبله وجرير حاضر، فقال ابن لجأ:

قَدْ وَرَدَتْ قَبْلَ أَنْى ضَحَائِهَا
تَقْرُشَ الْحَيَاتِ فِي خِرْسَائِهَا

جر العجوز الثني من رداها

فقال له جرير: أخفت مرّها، قال كيف أقول؟ قال تقول:

(40) شعر عمر بن لجأ، يحي الجبوري، ص 129.
(41) ديوان جرير، شرحه وبيط نصوصه: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط 1، 1417 هـ، 1997 م، ص 311.
(42) المصدر السابق، ص 245.

جرّ العروس الثني من رداها
ثم حمي ابن لجأ، وانتقد بيت جرير الذي يقول فيه:
وَأَوْتُقُ عِنْدَ الْمُرَدَّاتِ عَشِيَّةً لِحَاقًا إِذَا مَا جَرَّدَ السَّيْفَ لَامِعُ
إذ كان على جرير أن يستبدل كلمة المرديات بالمرهفات. فغضب جرير، وقال
لهذا البيت أحبُّ إليَّ من بكري حرزة، ولكنك مُحلب للفرزدق⁽⁴³⁾.

المبحث الثاني:

مقارنة بين هجاء جرير وهجاء عمر بن لجأ:

يقول عمر بن لجأ في قصيدة مطلعها:

نُبِّئْتُ كَلْبَ كَلْبِيبٍ قَدْ عَوَى جَزَعًا وَكُلُّ عَايٍ فِيهِ التَّرْبُ وَالْحَجَرُ⁽⁴⁴⁾

هذه القصيدة، قالها ابن لجأ، يناقض بها قصيدة جرير التي مطلعها:

هَاجَ الْهَوَى وَضَمِيرَ الْحَاجَةِ الذِّكْرُ وَإِسْتَعْجَمَ الْيَوْمَ مِنْ سَلْوَمَةَ الْخَبْرِ⁽⁴⁵⁾
وهاتان القصيدتان، لابن لجأ وجرير، تشكّلان بداية المعركة الهجائية بينهما،

وسبب هذه المعركة، أنّ عمر بن لجأ، عاب على جرير بيتاً من الشعر، وقد سبق
ذكره في أسباب وقوع الهجاء بين عمر بن لجأ وجرير.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا كلُّ هذه العصبية والتشنج من قبل جرير
في ردّه على عمر بن لجأ، والموضوع لا يتعدّى نقداً لمعنى بيت من الشعر؟
والإجابة- حسب رأيي - هي أن القضية أكبر من ذلك، فشاعر فحل مثل جرير
أطاح بالعديد من الشعراء، وأسكتهم، لا يمكن أن يقبل نقداً لأشعاره، وبخاصة إذا
كان هذا النقد من شاعر مثل ابن لجأ يظن أنّه ليس مؤهلاً لنقده، وكان لا بد من
هجاء ابن لجأ كي يكون عبرة لغيره وكي يضعه في حجه الصحيح.

وسوف نبدأ بقصيدة جرير، لأنّه هو البادي بالهجاء، فيبدأ جرير قصيدته، بالاحتقار
لنّيم قبيلة ابن لجأ، يصفها بأقبح الصفات، مُحذراً ابن لجأ بأنه كان يمكن أن يتعض
بمن كان قبله من الشعراء، كالفرزدق، والبعيث، والأخطل الذين غلبهم جرير.
وهذا يعني - من وجهة نظر جرير - أن ابن لجأ مستواه أقل من هؤلاء، ولهذا فإنّ
إقدامه على مقارعة جرير، مغامرة غير محسوبة العواقب، ويقول في قبيلة نّيم⁽⁴⁶⁾:

مَا النَّيْمُ إِلَّا ذُبَابٌ لَا جَنَاحَ لَهُ قَدْ كَانَ مِّنْ عَلَيْهِمْ مَّرَّةً نَمِرُ

(43) ينظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، 1/425.

(44) شعر عمر بن لجأ، يحي الجبوري، ص 92.

(45) ديوان جرير، ص 244.

(46) ديوان جرير، ص 245.

والمقصود بـ (النمر) في البيت هو (نمر بن مرّة الحماني) من تميم، ولم يكتفِ جرير بهجاء رجالات قبيلة الرباب بل وصل به الأمر أن قام بهجاء (برزة) أمّ عمر بن لجأ، فقال فيها⁽⁴⁷⁾:

أَنْتِ ابْنُ بَرْزَةَ مَنْسُوبًا إِلَى لَجَاءِ عَبْدِ الْعُصَاةِ وَالْعِيدَانِ تُعْتَصِرُ
فوصفها بأقبح الأوصاف، وهجاؤها بهذه الصورة، هو الذي حمل ابن لجأ على هجاء جرير، رغم أنّ النّيم حاولوا منعه من ذلك. وزاد جرير من هجائه لقبيلة عمر بن لجأ، فوصفهم أنهم يعيشون في المؤخرة، ويعيشون على هامش أحداث الحياة فقال⁽⁴⁸⁾:

لَا تُنْكِرُ النَّيْمُ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ سُورُ الْعَشِيِّ وَشَرِبُ التَّابِعِ الْكَدِيرُ
هذه أهم النقاط والعناصر التي حوتها هذه القصيدة، التي تبالغ في تحقير قبيلة عمر بن لجأ إلى أبعد الحدود. فغضب عمر بن لجأ من هذا الهجاء المرير، وقرّر أن يردّ على جرير وبخاصة وهو يرى قبيلة توصف بأخس الأوصاف، وكذلك أمّه، فلم يستمع لنداء قبيلته التي منعتة من الردّ على جرير. ففي بداية القصيدة يصف جريرا بالكلب، وهجاءه بالعواء، لذلك يجب أن يُلقم بحجر حتى يكفّ عن العواء احتقاراً له، وهذا ردّ على احتقار جرير له ولقومه. ولما وجد عمر بن لجأ أنّ جريراً يذكره بالأتعاض بمن قبله، أخذ يرد عليه بأن بني كليب لم يكتب لهم الظفر، لذلك نجده ينحاز بشكل واضح للفرزدق، ويمدحه، مفضلاً إياه على جرير، وكأنه يقول لجرير: لن أتعظ بمن سبقني، لأنك لم تهزمهم، بل هزموك. يقول عمر بن لجأ في رده على جرير⁽⁴⁹⁾:

هَيْبَةُ الْفَرَزْدَقِ فَاسْتَعْفَيْتَنِي جَزَعًا لِلْمَوْتِ يَعْمُدُ وَالْمَوْتُ الَّذِي تَدْرُ

ومن مظاهر التحدي عند ابن لجأ قوله⁽⁵⁰⁾:

مَا قُلْتِ فِي مِرَّةٍ إِلَّا سَأَنْقُضُهَا يَا بَنَ الْأَتَانِ بِمِثْلِي تُنْقِضُ الْمِرْرُ

أي أنّه، قادرٌ على نقض كل ما يقوله جرير، ولن يستسلم له. ورداً على هجاء جرير لأم ابن لجأ، ووصفه إياها بأقبح الصفات، وإتيان الفاحشة، فقد كان ردّ ابن لجأ قوياً على جرير، وكال له الصاع صاعين، حيث وصف والدته جرير وصفاً فاحشاً مؤذياً، ولم يكتف بذلك، بل هاجم نساء بني يربوع قاطبةً، ولذلك فعمر بن لجأ يتّهم جرير بعقوق الوالدين، لأنّ جريراً كان السبب في هذا الشتم الذي تعرضت له والدته من ابن لجأ، يقول⁽⁵¹⁾:

(47) المصدر السابق، ص 246.

(48) المصدر السابق، ص 247.

(49) شعر ابن لجأ، يحي الجبوري، ص 93.

(50) المصدر السابق، ص 96.

(51) شعر ابن لجأ، يحي الجبوري، ص 96.

لَوْ كُنْتُ بَرًّا بِأَمِّ غَيْرِ مُنْجِبَةٍ
وإذا كان جرير يصفه باللؤم في قوله (52):

قَدْ يَعْلَمُ النَّاسَ أَنَّ النَّيِّمَ الْأُمَّهُمْ
فإن ابن لجأ يردّ عليه رداً أكثر قسوة بقوله (53):

إِنَّ اللَّيِّمَ جَرِيرًا يَوْمَ فَرَّغَهُ
وَفِي الْمَشِيمَةِ لَوْمٌ فِي مَقَرَّتِهَا
فِي قُرْنَةِ السَّوِّءِ عَبْدٌ مَاؤُهُ كَدْرٌ
حَتَّى شَوَى صُدُغَيْهِ اللَّوْمُ وَالْكَبِيرُ
ويفتخر جرير بنفسه، لكن ابن لجأ، يسخر منه، ويقول (54):

إِنْ كَانَ قَالَ جَرِيرٌ إِنَّ لِي نَفْرًا
مِنْ صَالِحِ النَّاسِ فَسَأَلَهُ مَنْ النَّفْرُ؟
أَمُعْرَضٌ أَمْ مُعِيدٌ أَمْ بَنُو الْخَطْفَى
تِلْكَ الْأَخَابِثُ مَا طَابُوا وَمَا كَثُرُوا؟

وقبيلة تميم وإن كانت صغيرة الحجم، قليلة العدد والعدة، فإنه لا يمكن لأحد أن يتجاهلها، أو أن يغض الطرف عن فعالها، ولهذا فإن لها أثراً كبيراً في قبيلة تميم - الأم -، وحتى يؤكد هذا المعنى يأتي الشاعر بدليل وهو اشتراك قبيلة تميم مع الرباب وبني سعد في يوم الكلاب الثاني فيقول (55):

فَدُنَّا تَمِيمًا لِأَيَّامِ الْكَلَابِ مَعًا
وَيَوْمَ تَمِيمَ نَحْنُ النَّاحِرُونَ بِهَا
إِنَّ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ - وبخاصة الثاني - ينطقان بالتحدي، وكأنه يردد قول الفرزدق (56):
أَوْلَيْكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ
إِذَا جَمَعْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ
وقد لجأ عمر بن لجأ، إلى استغلال عامل الدين في هذه القصيدة، باتهام جرير أنه خارج عن تعاليم الإسلام، باتباعه أفكار (سجاح) المتنبئة يقول (57):

وَالْوَالِدِينَ مُلُوكًا كُنْتُ تَعْبُدُهُمْ
مِنْ قَبْلِ سَجْحَةَ فِي عَلَيَانِكَ السُّخْرُ
ويشبهه في موضع آخر بفرعون، الذي قاد شيعته إلى الضلال والهلاك (58):
أَمْسَى كَفَّرَ عَوْنَ إِذْ يَقْتَادُ شَيْعَتَهُ
يَرْجُو الْجُسُورَ فَمَا كَرُّوا وَمَا جَسَرُوا
كما أن الله ينصره على جرير باعتباره مؤمناً (59):

(52) ديوان جرير، ص 246.

(53) شعر ابن لجأ، يحي الجبوري، ص 97.

(54) المصدر السابق، ص 98.

(55) شعر ابن لجأ، يحي الجبوري، ص 104، 105.

(56) ديوان الفرزدق، ص 360.

(57) شعر ابن لجأ، يحي الجبوري، ص 104.

(58) المصدر السابق، ص 108.

(59) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

بِالنَّصْرِ وَاللَّهِ أُمُّ يَنْصُرُ بَنِي الْخَطْفَى وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا اسْتَنْصَرُوا نُصِرُوا
 ويزيد من تأكيده ببُعد جرير عن الدين الإسلامي، فيتعرّض له بمعانٍ لم يذكرها
 جرير كاتهامه جريراً بِنكاح الموتى، يقول⁽⁶⁰⁾:
 إِنَّ كُنْتُ تَبْكِي عَلَى الْمَوْتَى لِنَتِكْحَهُمْ فابرك جَرِيرُ فَهَذَا نَاكِحٌ ذَكَرُ
 وكقوله أيضاً⁽⁶¹⁾:

فَمَا حَمَى نَاكِحُ الْمَوْتَى بَنِي الْخَطْفَى حَتَّى يَفْرَعَهُمْ مِنِّي الَّذِي حَذَرُوا
 وبلجوء ابن لجأ إلى هذا المعنى، الغريب عن الدين الإسلامي، دلالة على أنه يريد
 أن يؤكد أنّ جريراً بعيداً عن الإسلام بهذا الفعل الشائن.
 هذه أهم النقاط التي عرض لها الشاعران في هاتين القصيدتين، فأما قصيدة
 جرير، فمن الواضح، أنه لم يأبه فيها لابن لجأ، إذ بالغ في تحقيره، وتحقير قومه،
 وهو واثق بنفسه مادام أطاح بالعديد من الشعراء قبل ابن لجأ، فلم يلجأ إلى تكرار
 المعاني كثيراً، ولم يلجأ إلى حشد الأدلة والبراهين، على قدرته وعلى أصالة قومه
 بني يربوع. أمّا ابن لجأ، فأمره مختلف، فهو يعرف مقدره جرير الشعرية، باعتباره
 فحلاً من الفحول لذلك حاول أن يتحدّاه، وحشد لذلك كل ما أوتي من قوة، لئلا
 يُهزم كما هُزم غيره، وإذا كانت قصيدة جرير، بلغت ستين بيتاً، فإن ابن لجأ نظم
 في هذه القصيدة مائة وتسعة وثلاثين بيتاً، وكأنه يتحدّاه كذلك في نظم الشعر.

المبحث الثالث:

أهم عناصر السبب عند الشعراء:

1- الأنساب:

كانت الأنساب مادة خصبة للهجاء بين جرير وابن لجأ، وهذا ليس بدعاً، فالذي
 يتمعن في النقائض، بين جرير والفرزدق، أو بين جرير والأخطل، أو باقي
 الشعراء الذين هجاهم جرير، يجد أنّ النسب كان مادةً أساسية، ووجبة غنية لا غنى
 عنها في هذه المهاجاة. والتعرض للأنساب في المهاجاة، ليس وليد العصر الأموي،
 بل كانت له جذوره في الشعر الجاهلي، كما أنّ القبائل العربية التي استوطنت
 البصرة والكوفة بعد الفتح، بقيت معظمها محتفظة بعاداتها وتقاليدها الجاهلية. وقد
 احتلت قضية الأنساب، والتعرض لها، حيزاً مهماً في هذه المهاجاة، وبخاصة عند
 عمر بن لجأ، الذي كان عارفاً بمطالب القبائل، حتى أنّه لجأ إليه الفرزدق، ليعلم منه
 مثالب بني جعفر بن كلاب.

(60) المصدر السابق، ص 95.

(61) المصدر السابق، ص 108.

وقد تجاهل عمر بن لجا مكانة قبيلة بني يربوع، في الجاهلية والإسلام، فشنَّ عليها هجوماً شديداً، في ثلاثة وخمسين موضعاً من شعره، فهو ينكر على جرير فخره بيربوع، التي لا يوجد لها عزٌّ تليد تفخر به، يقول ابن لجا⁽⁶²⁾:

فَخَاطِرُ بَيْرِبُوعٍ فَلَسْتُ بِوَاجِدٍ لَهُمْ حَامِداً إِلَّا لَنَيْمًا مُكْذِبًا
فَإِنْ قُلْتَ يَرْبُوعٌ نَصَابِي وَأَسْرَتِي لُؤْمَتٌ وَالْأَمْتُ النَّصَابُ الْمُرْكَبَا
وَأَمَّ تَكُّ يَرْبُوعٌ مِنَ الْعَزِّ حَوْمَةٌ فَتَخْشَى وَلَا الْفَرَعُ الصَّرِيحُ الْمُهْدَبَا

وكذلك تعرّض جرير بالهجاء لحسب تيّم، وإذا كان عمر بن لجا وجد أمامه قبيلة كيربوع كثيرة الفروع يهجوها وينتقص من قدرها، فإنَّ الأمر مختلف بالنسبة لجرير، فقبيلة تيّم الرِّباب قبيلة صغيرة إذا ما قورنت ببني يربوع، لذا تحالفت مع أخوتها عدي، وعكل، وثور، ثم تحالفت مع بني سعد، لحماية نفسها، ولهذا ركز جرير في هجائه، على هذا الأمر، حيث يؤكد في هجائه على وضاعة تيّم، وذلكها وحقارة شأنها. يقول جرير في وصف حسب التيّم⁽⁶³⁾:

أَتَفَخَّرُ تَيْمٌ بِالضَّلَالِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَبٌ ذَاكِ وَلَا عَدَدٌ مُثْرٍ

2- الجبن والهزيمة في المعارك والهوان والذل:

فكلا الشاعرين يحشد الأدلة، محاولاً الحط من قيمة خصمه، ووسمه بالجبن والهزيمة والذل وعدم القدرة على الدفاع عن نفسه، يقول ابن لجا⁽⁶⁴⁾:

وَأَنْتَ أَذَلُّ خَلْقِ اللَّهِ نَفْسًا وَقَوْمُكَ أَكْثَرُ النَّقْلَيْنِ عَابَا
وفي موضع آخر يصف أباه، بأنه لحق به الضيم والظلم فيقول⁽⁶⁵⁾:

فَأَقْعُ كَمَا وَجَدْتَ أَبَاكَ أَقْعَى وَضَيْمٌ قَدْ أَحَاطَ بِهِ شَدِيدُ

أما جرير، فكان أقدر من ابن لجا، في هذا العنصر من عناصر السباب، حيث لجأ إلى استغلال مقدرته في تصوير وتوظيف هذه المقدره، يقول جرير⁽⁶⁶⁾:

يَا تَيْمُ إِنَّ بُيُوتَكُمْ تَيْمِيَّةٌ فُقِدَ الْعِمَادُ قَصِيرَةٌ الْأَطْنَابِ
يَا تَيْمُ دَلُوكُمْ الَّتِي يُدَلِّي بِهَا خَلَقَ الرِّشَاءَ ضَعِيفَةً الْأَكْرَابِ
أَعْرَابُكُمْ عَارٌّ عَلَى حُضَارِكُمْ وَالْحَاضِرُونَ خَزَايَةُ الْأَعْرَابِ
قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكُ وَفُودُهُمْ نُبِّقَتِ سَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

(62) شعر ابن لجا، يحي الجبوري، ص 43.

(63) ديوان جرير، ص 192.

(64) شعر عمر بن لجا، يحي الجبوري، ص 58.

(65) شعر عمر بن لجا، يحي الجبوري، ص 62.

(66) ديوان جرير، ص 69.

حيث صورّ قبيلة ابن لجأ بأنهم يقطنون بيوتاً صغيرة، لا يسكنها الأذلاء، وفي إحضارهم للمياه، يستخدمون دلاء رشاؤها ضعيفة خلفة. ومن علامات المهانة والذل، عدم قدرة رجال القبيلة على حمل السلاح، وجهلهم به، وكذلك فساد هذا السلاح وعدم صلاحيته للحرب باستخدام السلاح بصورة فعّالة، واختيار الأسلحة ذات النوعية الجيدة أمرٌ بعيد عن الرجولة والعزة والشرف، يقول جرير في هذا الشأن⁽⁶⁷⁾:

كَانَ سَيُوفَ النَّيْمِ عِيدَانُ بَرَوْقٍ إِذَا مَلَّتْ بِالصَّيْفِ زُبْدًا عِيُونُهَا

3- صورة المرأة والموقف منها:

من يقرأ قصائد جرير وابن لجأ، يلاحظ اهتمام الشعارين بالمرأة، ولكلٍ منهما نظرتان مختلفتان للمرأة:

النظرة الأولى: وهي نظرة الحبيبية، فنراه يسبغ عليها ألوان الطُّهر والعفاف، والدلال، فعُمر بن لجأ يبدأ معظم قصائده بمقدمات، على عادة الشعراء الجاهليين ذاكراً من يحبها، وهي لها أسماء متعددة، فمرة أم بهدل، ومرة أم بدر، يقول ابن لجأ في هذا الشأن⁽⁶⁸⁾:

وَلَقَدْ عَهَدْتُ كَلَامَهَا مُتَّبِعًا وَالذَّلَّ مُعْتَدِلَ الدَّلَالِ حَرِيدًا
وَإِذَا مَشَتْ فَوْقَ الْبَلَاطِ حَسَبَتْهَا نَهَضَتْ تُرِيدُ مِنَ الْكَثِيبِ صُعودًا
وَتَرَى حَقَائِبَهَا الْعِرَاضَ وَثِيرَةً كَوْمًا وَسَائِرَ خَلْفِهَا أَمْلُودًا

ففي الأبيات السابقة، يرسم لنا الشاعر، صورة حبيبته التي يتخيلها، ووصفها بأوصافٍ سالمة من الفحشاء أو الإساءة.

أما النظرة الثانية: فقد استخدم عمر بن لجأ، المرأة عنصراً من عناصر الهجاء بينه وبين جرير، وهذا العنصر يعتبر أشد هذه العناصر إيلاماً، ذلك أنه يصور المرأة، تصويراً فاحشاً وكان هذا النوع من الشعر أداةً استخدمها شعراء النقائض، جرير، والفرزدق، والأخطل ضد بعضهم بعضاً. وقد تعرض ابن لجأ لنساء بني يربوع، وبني كليب، وأم جرير، فصورهن بأقبح صورة، وهي ردة فعلٍ طبيعية من جانب ابن لجأ، لأن جريراً كان هو البادئ في ذكر أم ابن لجأ ونساء قبيلته. يقول وهو يصف نساء بني يربوع، بصورة مقبحة⁽⁶⁹⁾:

وَلَكِنْ مِنْكَ مَنْ تَرَكَ السَّبَايَا تُعَارِضُ بِالْمَلْمَعَةِ الرِّكَابَا
فَوَارِسُ مِنْ بَنِي جُشْمِ بْنِ بَكْرِ هُمْ أَغْتَصَبُوا بِنَاتِكُمْ إِغْتِصَابَا

(67) المصدر السابق، ص 472.

(68) شعر ابن لجأ، يحي الجبوري، ص 69، 70.

(69) شعر ابن لجأ، يحي الجبوري، ص 57.

وبالنسبة لجرير، فهو مثل ابن لجأ، تضمّن شعره هذين النوعين من النظرة إلى المرأة، فنجد المقدمة الطللية والغزلية، في مُقَدِّمات قصائده التي هجا بها ابن لجأ، ومن أمثلة هذا الغزل الرقيق، ما نجده في إحدى مقدمات قصائده⁽⁷⁰⁾:

لَقَدْ هَتَفَ الْيَوْمَ الْحَمَامُ لِيُطْرِبَا وَعَنَى طِلَابُ الْغَانِيَاتِ وَشَيْبَا
وَأَجْمَعَنَّ مِنْكَ النَّفَرَ مِنْ غَيْرِ رَيْبَةٍ كَمَا دَعَرَ الرَّامِي بِفِيحَانٍ رَبْرَبَا
عَجِبْتُ لِمَا يَفْرِي الْهَوَى يَوْمَ مَنَعَجٍ وَيَوْمًا بِأَعْلَى عَاقِلٍ كَانَ أَعْجَبَا

أمّا النظرة الأخرى للمرأة، فهي نظرة سوداء قاتمة، استخدمها جرير عنصراً من عناصر هجائه لخصومه، ومنهم ابن لجأ، فجرير يسخر من نساء تيمم فيقول⁽⁷¹⁾:

تَرَى التَّيْمِيَّ يَزْحَفُ كَالْقَرْنَبِيِّ إِلَى تَيْمِيَّةٍ كَعَصَا الْمَلِيلِ
إِذَا كَثُرَتْ إِلَيْهِ يَقُولُ: بَلَوَى بَلَا حَسَنٍ كَثُرَتْ وَلَا جَمِيلِ

في البيتين السابقين يصوّر جرير نساء قبيلة التيمم بأنهن لا يهتمن بأنفسهن، كما أنّ رائحتهن ننتنة، فهنّ لسن كبقية النسوة اللاتي يظهرن أمام أزواجهن بالمظهر اللائق

4- اللؤم والكذب:

كانت صفة اللؤم، من الصفات التي ألحّ شعراء النقائض في وصف خصومهم بها، ويعلل إحسان عباس شيوع هذه الصفة بقوله: "وهذه المطاعن، كانت وليدة البيئة الاجتماعية، الأموية التي أوجدت معايير جديدة، تقوم بها مراتب الشرف والنبل لدى الجماعات القبلية، وفي رأس هذه المطاعن، صفة ألحّ عليها شعراء الهجاء إلحاحاً عجبياً، حتى لم تكن تخلو منها أهجية من أهاجيبهم الخلقية، وقد أفتنوا في تصويرها، وذهبوا في توليدها كلّ مذهب تلك هي صفة اللؤم"⁽⁷²⁾

وفي هذه الصفة يقول ابن لجأ⁽⁷³⁾:

إِنَّ اللَّئِيمَ جَرِيرًا يَوْمَ فَرَّغَهُ فِي قُرْنَةِ السَّوِّءِ عَبْدٌ مَاؤُهُ كَدِرُ
وَفِي الْمَشِيمَةِ لَوْمٌ فِي مَقَرَّتَيْهَا حَتَّى شَوَى صُدُغِيهِ اللَّؤْمُ وَالْكَبْرُ

أمّا صفة البخل، فهي صفة مذمومة بين العرب، فمدح الكريم في الجاهلية، وُدّم البخل، وبقيت هذه الصفة في العصر الأموي أيضاً، فهاهو ابن لجأ يفخر بإقراءه للضيف، خلافاً لما يفعل جرير⁽⁷⁴⁾:

(70) ديوان جرير، ص 31.

(71) المصدر السابق، ص 362، 363.

(72) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان عباس، دار الفكر، دمشق سوريا، ط 2، 1972م، ص 507.

(73) شعر ابن لجأ، الجبوري، ص 97.

(74) شعر ابن لجأ، الجبوري، ص 41.

تُرِيحُ تِلَادَ الْمَجْدِ وَسَطَ بِيوتِنَا
وَ تَقْرِي السِنَامَ الضَّيْفَ إِنْ جَاءَ طَارِقًا
إِذَا مَا ابْنُ يَرْبُوعَ عَنِ الْمَجْدِ أَعَزَّبَا
يُمَارِسُ عَرْنِينَا مِنْ الْفَرِّ أَشْهَبَا

5- العبودية:

صفة العبودية لغير الله، من الصفات التي تدلُّ على الوضاعة وحفارة الشان، ولذلك فإنَّ هذه الصفة لم تغب عن بال ابن لجأ وجريير، يقول ابن لجأ واصفاً والد جريير بهذه الصفة⁽⁷⁵⁾:

دَعَوْتُ أَبَا عَبْدِ وَأَمَّا لَنَيْمَةً
وِيرَكِّزُ جَرِيرٌ عَلَى سِوَادِ اللَّوْنِ، الَّذِي يَرْمِزُ لِلْعِبُودِيَّةِ، حَيْثُ يَقُولُ (76):
فَلَا أُمَّ تَدْعُو فِي الْكِرَامِ وَلَا أَبَا
وَالنَّيْمُ الْأُمُّ مَنْ يَمْشِي وَالْأُمُّهُمْ
أَوْلَادُ ذُهْلِ بَنُو السُّودِ الْمَدَانِيسِ

6- الفخر والتعالي على الخصم:

ومن الأساليب التي استخدمها الشاعران، أسلوب الفخر بالقبيلة ومنجزاتها ورجالاتها وأيامها، وهذا الفخر يعني أنَّ القبيلة الأخرى لا تملك مثل هذه المقومات، وأن هناك بونا شاسعاً بينهما، لذلك نجد أن كلاً من الشاعرين يحشد كل ما في جعبته من صنوف الفخر والاعتزاز؛ ليضيفها إلى رصيد قبيلته، وهذا الفخر من قبيل الاستعلاء على الخصم، ونلاحظ أن هذه الخاصية كانت موجودة عند ابن لجأ أكثر مما هي موجودة عند جريير، وذلك نظراً لطول قصائد ابن لجأ، وكان تركيز جريير، على الحط من شأن قبيلة ابن لجأ (تيم الرباب)، والسخرية من ذلها ودناءة أصلها. ونبدأ بما قاله ابن لجأ في التفاخر بالأنساب، حيث يقول⁽⁷⁷⁾:

فَمَا مِنْ بَنِي الْيَرْبُوعِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ
وَلَا آلُ جَزْءٍ يَا جَرِيرُ وَلَا الَّذِي
وَلَا الْبُدُّ اللَّاتِي بَسَطْنَ مُقَاعَسَا
وَلَا الْغُرُّ مِنْ آلِ الْأَجَارِبِ أَصْبَحُوا
وَلَا الزَّبْرِقَانُ بِنُ الْعَرَانِينِ وَالذَّرَى
وَلَا فَدَكِيَّ يَا جَرِيرُ ابْنُ أَعْبُدَا
سَمَا بَجَنُودِ النَّاسِ أَيَّامَ صَيْهَدَا
إِذَا زَارَتْ فِي غَيْطَلٍ قَدْ تَلَبَّدَا
لِمَنْ نَصَرُوا رُكْنًا عَزِيزًا مُؤَيَّدَا
وَلَا آلُ شَمَّاسٍ وَلَا آلُ أَسْعَدَا

فقيس بن عاصم، وفُدكي بن أعبد، والزبرقان بن بدر، من بني سعد، والأجارب خمس قبائل من بني سعد، وهم ربيعة ومالك والحارث وعبد العزى، والحرام بنو كعب بن زيد مناة، وكذلك مُقَاعَس من بني سعد. أمَّا جريير فقد فخر بأيام بني

(75) المصدر السابق، ص 42.

(76) ديوان جريير، ص 274.

(77) شعر ابن لجأ، الجبوري، ص 85، 86.

يربوع وأمجادهم وعزّهم، وكذلك برجال يربوع لكي يثبت لابن لجأ، أن تيمماً
بأيامها ورجالها لا يمكن أن تكون نداءً ليربوع⁽⁷⁸⁾.

لَنَا عَمْرُو عَلِيكَ وَالْ سَعْدِ
وَجَوَّازُ الْحَجِيجِ لَنَا عَلَيْكُمْ
وَوَالِي مِنْ خُزَيْمَةَ يَا ابْنَ تَيْمِ
لَقَدْ وَجِدَ ابْنُ بَرْزَةَ يَوْمَ جَارِي
وَأَثْرُوهَ دَارِمٍ وَحَصَى الْجِمَارِ
وَ عَادِي الْمَكَارِمِ وَالْمَنَارِ
عَظِيمِ النَّيْتِ مُرْتَفِعِ السَّوَارِي
بَطِيناً عَنِ مُرَافَعَةِ الْخِطَارِ

الخاتمة:

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

- وقوف عمر بن لجأ نداءً قوياً لجرير، لا يعني أنه تفوق عليه، فقد كان جرير هو الأقوى من الناحية الفنية، ففي حين لجأ عمر بن لجأ إلى السباب والشتيم، وهو الغالب على شعره، لجأ جرير إلى استخدام أسلوب السخرية، واستغل قدرته الفائقة في التصوير للحط من عمر بن لجأ وقبيلته.
- تعرّض جرير في هذه المعركة الهجائية، إلى قبيلة تيم الرّباب ورجالها، ولم يتعرض لأخوة تيم، بل حدّثهم مغبةً التعرض له، وموازرة عمر بن لجأ، أما عمر، فقد هجا قبائل بني يربوع جميعاً.
- إن العلاقة التي رسمها الشعر بين جرير وابن لجأ، هي علاقة قبلية في غالبها، حتى أن ما جاء من أمر سجاح والإسلام، جاء ما يرفضه من الناحية القبلية، مما يدلُّ على أن جريراً وابن لجأ، كانا يعيشان، حياة قبلية مسرفةً في قبليّتها.
- تعرّض الشاعران لاستخدام صفات مختلفة، مثل صفة اللؤم والبخل، كما أكثرا من استخدام صورة العبد.
- قصائد ابن لجأ في معظمها، تتصف بالطول، بينما قصائد جرير في هجاء ابن لجأ في أغلبها قصيرة.
- تأثر عمر بن لجأ، في هجائه لجرير بالفرزدق، وذلك بوصفه لجرير بابن المراغة وعير جريراً وقومه باقتناء الحمير والأتان.
- تعرّض الشاعران للمرأة، في شكل سلاح من أسلحة الهجاء، ووصفاها وصفاً مقذعاً. وختاماً فإن نقائض جرير والتيمي، كان لها صدّى كبيراً في ذلك العصر، والدليل على ذلك أنّ الوليد بن عبد الملك، أمر بوقفهما على البُلس، ومع ذلك تظل أقل تأثيراً من نقائض جرير مع الفرزدق والأخطل.



المصادر والمراجع:

- إحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي،، دار الفكر، دمشق، ط2، 1972م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، الأغاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج.
- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد، الكامل في التاريخ، راجعه وحققه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء، تحقيق ش توري، مقدمة: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت.
- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، شرح اختيارات المفضل، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، نقائض جرير والأخطل، تحقيق: أنطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، دار المشرق، بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985م.
- الجبوري، يحيى، شعر عمر بن لجأ، دار القلم، الكويت، ط2، 1981م.
- الجمحي، أبو عبدالله محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، 1974م.
- الحموي ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
- ابن ثريد، أبوبكر محمد بن الحسن الأزدي، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة المثنى، بغداد، ط2، 1979م.
- ديوان جرير، شرحه وبيط نصوصه: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1417هـ، 1997م.
- الزركلي، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1992م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
- ابن عبد البر، أبو عمرو يوسف بن عبدالله بن محمود، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، تح: علي محمد الجاوي، دار النهضة، القاهرة (د. ت).

- أبو عبيدة، محمد بن المثنى التميمي، كتاب النقائض نقائض جرير والفرزدق، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، 1419هـ، 1998م.
- الفرزدق، همام بن غالب، ديوانه، شرحه وضبطه وقدم له: علي الفاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- ابن الكلبي، هشام أبو المنذر بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1986م.
- المبرد، محمد بن يزيد المبرد أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: عبدالحميد هندأوي، وزارة الأوقاف السعودية، 1998م.
- النويري، أحمد بن عبدالوهاب القرشي، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، 2004م.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران، 1971م.

